بسم الله الرحمن الرحيم

تيسير العزيز الحميد في حكم الدف والنشيد

مع ذكر الأناشيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ①

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ ②

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه» ③

وقال الفقيه الزاهد العابد أبو سليمان الدارني رحمه الله: «إنه ليمر في نكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة» ④

وبعد:

فقد شاع في أيامنا هذه الكثير من المنكرات، من الغناء خليعه وأصوات ماجنة فاجرة يضيق بها صدر المؤمن.. وتشمئز لها نفوسهم.. ويعظم تحريمه لربه جل وعلا ⑤ فكان لا بد من ظهور البديل الإسلامي الذي يباح فيه الأصوات الشجية الفاجرة [illegible] فظهرت الأناشيد الإسلامية الهادفة [illegible] ظهرت تلك الفجوة التي حلت بها تلك الملاهي الماجنة المنتنة، وذلك الملهو الذي ينبت النفاق في القلب ⑥ إلا أن هذه الأناشيد قد اختلفت وتنوعت، فمنها ما كان يخالطه الدف ومنها ما كان مجرداً عن ذلك.. فتن الكثير من الشباب في هذه الأناشيد المزوجة بصوت الدف بدعوى أنها تثير الحماس تارة، وترقق الشعور تارة أخرى.. فاختلفت الأقوال وتباينت الآراء بين جائز ومانع، وكثرة المسألة: هل يجوز الدف؟ أين يجوز؟ متى يجوز؟؟؟

---

① تعرف هذه الخطبة باسم خطبة الحاجة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتتح بها خطبه، والحديث هذه الخطبة أخرجها جمع من الأئمة منهم أبو داود (٢٢١/١) والنسائي (٢٠٨/١) والحاكم (١٨٢/٢) وأحمد والطبراني وغيرهم.. فمن شاء التوسع فليرجع إلى رسالة (خطبة الحاجة) تأليف: الألباني ص ١٣ ط المكتب الإسلامي. ② سورة النساء: ٦٥.

③ رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/٨٩١) مرسلاً، وورد مرفوعاً من طريق أخرى، راجع مشكاة المصابيح (٦٦/١) وصحيح الجامع الصغير (٢٩/٧) وفيه كلمة (رسول) أنه الشافعي الذي لم ير الرسول صلى الله عليه وسلم لكن في حديثه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مباشرة دون واسطة الصحابي، راجع أصول الحديث / علوم الحديث (٢٢٧) وتيسير مصطلح الحديث / محمود الطحان (٧٠) ومعجم المصطلحات الحديثية / نور الدين عتر (٩٣) وتدريب الراوي / السيوطي (١٩٥/١).

④ مجموع الرسائل المنبرية (٣١١/٢). ⑤ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان» رواه أبو داود وأحمد والترمذي والطبراني. راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٠/١)

⑥ قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع». الدر المنثور (٤٤٢/١)

⑦ قال الرازي في مختار الصحاح (٢٠٧) الدف: بالضم الذي يضرب به، وقال في لسان العرب (١٠٧/٩): الضم الذي يضرب به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاشتبه الأمر على كثير من الشباب المسلم، لهذا كله إحببت أن أجمع نتفاً قليلة من أدلة هذه المسألة لعلها تنفح، ولم أتشأ التطويل والإسهاب خشية السآمة والإملال.

فأقول وبالله المستعان وعليه التكلان: إن أصل الاختلاف في هذه المسألة هو الحديث الذي يرويه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف...»[1]. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني[2]: (المعازف بالعين المهملة والزاي بعدها فاء، جمع معزفة وهي آلات الملاهي... وفي حواشي الدماطي: المعازف: الدفوف وغيرها مما يضرب به. اهـ. قلت: وهذا الحديث يعتبر عاماً في تحريم المعازف[3] والعام عند الأصوليين كلام مستغرق لجميع ما يصلح له[4] وهذا الحديث ذو الحديث للإمام هو الذي حسنه جمهور العلماء بأنه للسماع المحرم، قال القرطبي: «السماع ممنوع بالكتاب والسنة»[5] وكتب عمر بن عبد العزيز إلى معلم أولاده: ليكن أول ما يستدفعون من أدبك بغضك للملاهي التي يبدؤها الشيطان وكراهتك لها سخط الرحمن، فإنه يلقى على اللسان من أهل العلم لصوت المعازف واستماع الأغاني، والولوج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب[6] وهو الغناء الذي قال فيه القاسم بن محمد: (الغناء باطل والباطل في النار)[7] وهو الذي كان يكرهه أبو حنيفة رحمه الله ويجعله من اللهو[8]. قلت: هل هذا الحديث العام بتحريم المعازف والغناء يبقى على عمومه في التحريم أو هناك حديث مخصص له؟ والتخصيص عند الأصوليين: قصر العام على بعض مسمياته أي أفراده[9]. * استدل الذين قالوا بإباحة الدف بحديث جعلوه مخصصاً لعموم التحريم ألا وهو حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: أما بعد فإن عائشة رضي الله عنها دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى (عيد الأضحى) تغنيان وتضربان[10] والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد...[11]. وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: هذا الحديث هو من جملة الأحاديث التي استدل بها المبيحون للضرب بالدف، فهل هذا الحديث المطلق في جواز ضرب الدف يبقى على إطلاقه؟ أم له تقييد بقيد... بمناسبات وأوقات معينة؟..

---

① سماه البخاري تعليقاً (٥/٢٢) متن لبارية - السلفية ورواه البيهقي (١٠/٢٢) وأبو داود في سننه والطبراني وابن عساكر في تاريخ دمشق وقوى إسناده الحافظ في مقدمة ساسة الزهاري الصحيحة (١/٤٤٦) والإصابة في تمييز الصحابة جـ٣ ص٣. معروفة: معنى سماه تعليقاً: أي لم يذكر سنده إلى آخره، راجع معجم مصطلحات الحديث (١٠٤) وتدريب الراوي (١/١٣٧) والباعث الحثيث (٣٢) وعلوم الحديث (٥٠).

② البيوع باب ترجمة (١٠/٥٥) متن لبارية شرح صحيح البخاري - طبع مكتبة السلفية (١٠/٥٥).

③ المعازف: المعاجم، والمعازف: الملاهي بها والمغني، مختار الصحاح للرازي (٢٠٠) وتاج العروس (٩/٤٤٤) المعازف: الملاهي.

④ قاله السبكي في الذكرى ص٣٠ - راجع أصول الفقه / الخضري (١٤٧) والعدة لأبي يعلى (٢/٤٨٢) والوجيز / عبد الكريم زيدان (٢٠٤).

⑤ المواهب لأبي إسحاق الشاطبي على هامش ص٤. ⑥ الفائدة للإمام / ابن قيم الجوزية (١/٢٥١).

⑦ كلمات مختارات / عبد الله بن جار الله ص١٨٠. ⑧ المدخل لابن الحاج (٣/١٠٢).

⑨ قاله الدكتور عبد الكريم زيدان في الوجيز ص٣١٠ - راجع علم أصول الفقه / عبد الوهاب خلاف ص١٩١.

⑩ الجواري كما يدل عليه سياق الحديث. ⑪ سماه البخاري (١/٤٤٦، ٥٠١) ومسلم (٢/٢٢) والنسائي (١/٣٦)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصوصا عامة مقيداً [1] ومقيده في الحديث ذاته وهو قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد» وهو الدليل على التقييد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً التقييد ومشيراً إليه: «في هذا الحديث بيان أن هذا لم يكن عادة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا مشروعاً فيه وهذا اسماء الحديث أبو بكر رضي الله عنه (من مزمور الشيطان)، والنبي صلى الله عليه وسلم أقرّ الجواري عليه معللاً ذلك بأنه يوم عيد» [2]، وقد أجاب عن هذا الحديث الكثير من العلماء [3] أجوبة واهية كما فيه، ومن الأدلة التقييد أيضاً حديث عامر بن سعد رضي الله عنه قال: «دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود وذكر ثالثاً، وجواري يضربن بالدف وهن يغنين فقلت: تقرون هذا وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا: إنه رخص لنا في الفرح» [4] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... وذكر رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس ونحوها (والأفراح...)» [5] وقال الشيخ أبو بكر الجزائري مبيناً شروط استعمال الدف: «أن يكون في عرس بنكاح شرعي، بمعنى أن يكون الدف عبارة عن إعلان خبر بأن قد حل عقد جلد فقط بحيث يخلو من الوتر ومن أي شيء زائد» [6] وذكر الأستاذ سيد سابق في كتابه (فقه السنة) إباحة الضرب بالدف عند الزواج [7]. ونقل العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله عن الحسن البصري قوله: «لا بأس بالكبرية» واستثنى من استعمالها بصوتك [8] أنه قال: صوته هو الدف، قلت: ومن المعروف أن الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله أباح آلات اللهو والمعازف ويشدد النكير على من حرمها إلا أنه قال: «روينا من أصح طريق عن يحيى بن سعيد القطان حدثنا سفيان الثوري حدثني منصور بن المعتمر عن إبراهيم النخعي أن أم حبان ابن مسعود رضي الله عنه كانوا يستقبلونه الجواري في الأرجحة معهن الدف فيشققونها [9] قلت: كيف يستجيز ابن حزم رحمه الله لنفسه أن يحيل الغناء والضرب بالدف وهو يقول عن هذا (لأثر (روينا من أصح طريق) وفيه الإنكار باليد على من يضرب بالدف عملاً بقول (الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...» [10] فالضرب بالدف من المنكر الذي

---

[1] حكم الظاهر أنه يجري على الإطلاقه، فلا يجوز تقييد بأي قيد إلا إذا قام الدليل على التقييد. قاله الشنقيطي في المذكرة ص ٢٨٧ - راجع الوجيز ص ٢٨٧ وأصول الفقه/الخضري ص ١٩٦ وابن عقيلة (١/٢١٤) وغيرها.

[2] مجموع الرسائل الكبرى (٢٠٧/٢). راجع مجموع الرسائل المنيرية (٣١/٢). [3] انظر الحاوي في الفتاوى (١٠٦/٢) والسبكي في فتاوى (٢٢٧) وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٢٧) والبيهقي في فصل الخطاب (١٠٠/٢٢٥) فليراجع فإنه مهم. [4] رواه النسائي (٩٧/٨) وابن ماجه في المستدرك والبيهقي (٢٩٧/١٠) والطيالسي في مسنده وقد شرحه البيهقي في فصل الخطاب ص ٢٢٥ شرحاً واسعاً.

[5] مجموع الرسائل الكبرى (٢٠١/٢). [6] رسائل الجزائري ص ٢٨٧ رسالة (الإعلام بأنه الغناء والمعازف حرام).

[7] فقه السنة (٤٢٦/٢) والألباني في آداب الزفاف ص ٩٢ والشنقيطي في عقد الفرائد ص ٩٧ والجزائري أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود (٢٤٦/٢) والمقدسي في المغني (٤٢٤/٧) وسيأتي المزيد عليه راجع مزيد البيانات عند الإمام أحمد (٦٠/٤) للمعرفة السلفية في المسألة، وبيانه أحاديث وآثاراً. [8] آية ٦٤ من سورة الإسراء راجع أضواء البيان (٦٩/٣) [9] نقل هذا الشيخ الجزائري في فصل الخطاب ص ٢٢٧ وراجع المحلى (٥٥/٩).

[10] رواه الإمام مسلم في صحيحه - راجع مختصر صحيح مسلم للمنذري بتحقيقنا الرسالة ص ١٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الصحابة رضي الله عنهم يغيرونه .. وقد تبين جلياً من النصوص السابقة أن إباحة الضرب بالدف جاءت مخصوصة للتحريم العام للمعازف .. وبعض الوقت مقيدة إما بنكاح ① أو عيد ② وليست مطلقة في جميع الأوقات .

بعد هذا ، تأتي مسألة جديدة وهي أنه هل الضرب بالدف يجوز للرجال ؟؟ أو أنه مقيد أيضاً بالجواري ؟؟ .

الجواب : نعلم من الأدلة الآنفة الذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبح ذلك للرجال وذلك لأنه لم يحدث أن ضرب الرجال بالدف على عهده صلى الله عليه وسلم ، فالإباحة إذن تبقى مقيدة بالجواري ، أما الرجال : فلا .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ③ : « وأما الرجال على عهد صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يعرف ذلك ، ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء ، كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ويسمون الرجال المغنين مخانيث » وقال أيضاً : « فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر ولا بالمغرب ولا العراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع الحكاء والمتصوفة لا بدف ولا بكف ولا بقضيب ، وإنما حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه .. » ④ وقال الشيخ أبو بكر الجزائري ⑤ مبيناً الشرط الرئيسي في استعمال ~~[illegible]~~ والغناء ، وقال الشيخ حمود التويجري ⑥ : « وقد توسع كثير من السفهاء في زماننا في الغناء وضرب الدفوف في أيام الأعراس ، ولم يكتفوا بما أبيح في ذلك ، بل تجاوزوه إلى المحرم ، وإلى ما هو أفحش منه ، والمباح هو ضرب الجواري الصغار بالدفوف من غير توقيع على الحان الغناء .. » . وقال أيضاً ⑦ : « وأما الضرب بالدفوف فإنما يجوز للجواري في العرس ونحوه من غير توقيع على الحان الغناء ، ولا يجوز ذلك للرجال .. » ثم قال ⑧ : « وأما الرجال فلا يرخص لهم في شيء من ذلك .. » . وقال الشيخ أبو محمد المقدسي ⑨ : « وأما المضروب به - أي الدف - الرجال ممنوعون على كل حال ، إنما كان يضرب به النساء والمخنثون والمتشبهون بهن ، ففي ضرب الرجال به تشبه بالنساء وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء » . ⑩ وأما ما استشكله بعض طلاب العلم من قول الإمام ابن حجر

---

① الحديث عامر بن سعد الذي مر في النسائي والحاكم وغيرهما وتقدم تخريجه . ② الحديث السابق عائشة الذي مر في البخاري ومسلم وغيرهما وتقدم تخريجه . ③ مجموع الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢/٢٠٧) . ④ مجموعة الرسائل الكبرى (٢/٢٠٢ ، ٢٠٤) - راجع مجموعة الرسائل والمسائل (١/٣٧١) . ⑤ رسالة (الإعلام بأحكام الغناء والسماع) ضمن رسائل الجزائري ص ٢٨٧ . ⑥ فصل الخطاب في الرد على أبي تراب ص ٤٢٢ - ٤٢٦ - بتصرف . ⑦ المغني لابن قدامة (١٠/٤١) . ⑧ قال ابن حجر الهيتمي معلقاً على قول المقدسي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحكي (الحنبلي) في (الدف) قوله ①: « (المعتمد من مذهبنا أنه حلال في العرس وختان ونحوه أفضل، وهكذا حكمه في غيرها، فيكون مباحاً أيضاً على الأصح في (المنهاج) وغيره... وقال جمع من أصحابنا أنه في غيرهما حرام... الخ » قلت: ظهر بيّناً حكم (الدف) فيما مرّ من نصوص كثيرة ونقول عديدة.. فلا داعي للتكرار.. ولو سلمنا جدلاً بصحة قول ابن حجر - مع خطئه - هل قوله هذا يشمل (الرجال) أيضاً أم هو خاص بالجواري؟؟ ويجيبنا على هذا (المؤلف نفسه رحمه الله) أيضاً حيث يقول ②: « حكى (الإمام البيهقي) عن شيخه (الإمام الحليمي) وغيره بخلافه: أن (الدف) أيضاً (إنما) يباح للنساء خاصة أ.هـ. وعبارة (المنهاج): وضرب (الدف) لا يحل (إلا للنساء) ».

ومن نتيجة ما مرّ يتبين لنا (الخطأ الكبير) الذي وقع به (الشيخ شلتوت) رحمه الله حيث قال ③: « وإذا سمع (الآلات) كالمزمار (والعود) أو (الطنبور) أو (الصنوج) الجميلة لا يمكن أن يحرّم باعتبار صوت آلة أو صوت إنسان أو صوت حيوان، وإنما يحرم إذا استعين به على محرّم أو اتخذ وسيلة إلى محرّم أو ألهى عن واجب » وقال مثله أيضاً (الشيخ القرضاوي) ④ و(الشيخ محمد رشيد رضا) أيضاً رحمه الله ⑤ وقد ردّ على (الشيخ القرضاوي وشبهاته (الشيخ عبد المجيد سليم) و(أحمد) ⑥ وكذلك (الشيخ محمد ناصر الدين الألباني) ⑦ حفظهم الله جميعاً، أما قول (الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ⑧: « وإباحة (الدف) (للنساء) وما في معناه من (الحوادة) (والسارة)... » هذا كلام مطلق قيدته (الأحاديث السابقة) التي أباحت (الدف) (للجواري) في (النكاح) و(العيد) فقط، أما غيرهما فلا.. كما ثبت لنا من كلام (الأئمة) و(العلماء) رحمهم الله جميعاً.

أما ما استحسنه بعضهم من (الطبل) في (الحرب) فلا وجه له.. ولا دليل عليه لأنه تخصيص (للأحاديث) (المحرّمة) بدون مخصص سوى مجرد (الرأي) و(الاستحسان) وهو باطل ⑨.

---

① (الفتاوى) (ص٤٤٦).

② (الفتاوى) (ص٤٤٦).

③ (رسالة كف الرعاع عن محرمات (اللهو والسماع) ص٢٢.

④ (الرسالة السابقة) ص٢٣.

⑤ (الفتاوى) (ص٤٤٦).

⑥ يلاحظ أنه لم يفرّق بين (الآلات الوترية) أو (الطبول) أو غيرها.

⑦ (تحريم آلات الطرب) ص٩١، وقد أباح (الغناء) أيضاً (الإمام الغزالي في (الإحياء) (٢/١٢٦).

⑧ (تحريم الحرام في الإسلام) ص٩١، و(فتاوى) (٨/٣٦٥)، وراجع (المحلى) لابن حزم الأندلسي: (٩/٥٥) و(٤/٤١) و(٥/٥٥٢).

⑨ (نظرات في تحريم الحرام في الإسلام) ص٩٥.

⑩ (غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام) ص٢٧، ورد عليه كذلك بعض علماء المجانسة.

⑪ (حكم الإسلام في الغناء) ص٤٠.

⑫ (سلسلة الأحاديث الصحيحة) (١/١٤٥) بتصرف يسير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخيراً...

قال الدكتور محمود مهدي استانبولي ①: «ولا تخفى الفائدة التي ترجى من ذلك - سماع الأناشيد - في جذب الشباب وتوجيهه توجيهاً دينياً قويماً عن طريق السماع المباح في بعض الأحيان بدلاً من السماع الماجن الهدام ... وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إلى إنشاد الأشعار ويستزيد منها أحياناً ...».

فما هو حكم سماع الأناشيد المجردة عن الدف ؟!.

يقول علامة الهند صديق حسن خان: «وأما السماع بدون المعازف ففيه خلاف واسع بين السلف والخلف، والذي يظهر من الأدلة الشرعية المتقدمة أنه لا يحرم إذا السماع المجرد عن الدف مباح ليس بمكروه ولا حرام» ②.

ولعل هذا يتعارض مع ما نقله ابن الجوزي ③ عن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى أنه سئل عن السماع فقال: «ما أرخصه، هو بدعة، ولا يجالسوه» قلت: أما هذا فحمل

وصاحبته للدف.

الخلاصة

١. جميع المعازف محرمة.

٢. هناك تخصيص في إباحة الدف.

٣. إباحة الدف مقيدة إما بنكاح أو عيد.

٤. ضرب الدف لا يجوز للرجال.

٥. الأناشيد إذا كانت مجردة عن الدف فهي جائزة.

• • • • • •

هذا آخر ما تيسر في جمعه من أدلة هذه المسألة، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ... والحمد لله على توفيقه.

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً». (الأحزاب - ٣٦)

وكتبها: بعض طلبة العلم

(علي الحلبي)

---

① تهذيب موطأ الموسى (١/١٤٠).

② نقله عن كتاب (إيقاظ الهمم) الدكتور الاستانبولي في كتابه العروس ص٦٨.

③ تلبيس إبليس / ابن الجوزي تحقيق: محمد مصري الاستانبولي ص٢٢٩.

قال سليمان التيمي رحمه الله: «الخلوة للعبادة (١/٢٧)